أ. د. عبد الكريم بكار

الوضوح

نحو رؤية أفضل

Telegram:@mbooks90

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوضوح

نحو رؤية أفضل

Telegram:@mbooks90

تأليف

أ. د. عبد الكريم بكّار

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الوضوح (١)	٧
الوضوح (٢)	١٢
الوضوح (٣)	١٧
الوضوح (٤)	٢٢
الوضوح (٥)	٢٦
الوضوح (٦)	٣١
رشد منقوص (١)	٣٦
رشد منقوص (٢)	٤٠
رشد منقوص (٣)	٤٤
تآكل الاهتمامات	٤٩
السيرة الذاتية للمؤلف	٥٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مُقَدِّمَة

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد..

فإن اللَّه - تعالى - فطر الإنسان على حب التساؤل والحرص على استكشاف ما يدور حوله؛ وذلك حتى يتمكن من تسخيره والاستفادة منه وتوقي شروره، لكن عقل الإنسان ليس مجهزًا لفهم ذلك على نحو قاطع، كما أن النظام اللغوي الذي يشكِّل الأداة الرئيسة في عملية الفهم مصاب بالقصور الذاتي، وأشعر أن فهم الواقع اليوم أصعب مما كان عليه في الماضي؛ وذلك بسبب التعقيد الذي أوجده التقدم الحضاري، وبسبب التطور السريع الذي أحدثه التقدم التقني المذهل، وقد وجدت أن نشر هذه الرسالة يساعد القارئ العزيز على الإلمام بأسباب صعوبة إدراك كثير من الموضوعات، كما يساعد على حسن التعامل معها.

بقي أن أقول: إن هذه الرسالة عبارة عن مجموعة من المقالات التي تم نشرها في بعض المجلات والمواقع الإلكترونية عبر السنوات الأربع الماضية، كما أود أن أنوِّه إلى أن المقالات الست التي عنونت لها باسم (الوضوح) نشرت في حينها تحت اسم (مكافحة العماء).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإني لأسأل الله - تعالى - أن ينفع بهذه المادة القراء الكرام، وأن يجعلها لي ذخرًا يوم الدين؛ إنه سميع مجيب.

أ.د. عبدالكريم بكار

في ٢٤/ ٢/ ١٤٣٣هـ

* * *

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوضوح

(١)

يأتي الواحد منا إلى الدنيا وهو لا يعلم شيئًا، ويخرج منها بعد عمر مديد، وهو لا يعرف إلّا القليل، ويجهل الكثير الكثير، وهو بين القدوم النضر المتفتح، وبين الأفول الذابل الواهي، يبذل الكثير من الجهد، ويلاقي الكثير من العناء في سبيل امتلاك رؤية حسنة لمحيطه ورؤية الجديد المؤثّر في معيشته، وفي سبيل مكافحة العماء (اللاتكوّن). هذا الإنسان المحدود، يواجه على نحو دائم مشكلة إدراك الأشياء على ما هي عليه، ومشكلة التعامل معها على النحو الصحيح.

والمشكلة الأكثر تعقيدًا تكمن في جهله بقصوره وضعف إمكاناته، مما جعله المخلوق الأكثر إسرافًا في الادعاء والتبجّح في هذا الكون! نحن في حاجة حقيقةً إلى إنشاء (علم الطرق المسدودة) أو ما يمكن أن يُسمّى بـ (علم القصور الذاتي) أو (علم الجهل)؛ أي نحتاج إلى تنظيم معرفة تمكننا من أن نتحدث كثيرًا عن الأشياء التي لا نعرفها والغوامض التي لا نفقهها، والفنون والمهارات التي لا نتقنها، كما تمكننا من تلمس الحدود الفاصلة – على نحو مقبول – بين القريب والبعيد، والصعب والسهل، وما نستطيع تغييره، وما لا نستطيع، وما نملكه وما لا نملكه.. ونحن في حاجة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى هذا العلم حتى نقلل من إمكانات الخطأ، وحتى نقلل من النزاع والجدال العقيم، كما أننا في حاجة إليه من أجل توفير الجهد والوقت، فنحن حين نعرف الطرق المسدودة، نمضي في الطريق المفتوح بثقة وطمأنينة، وحين نعرف ما لا نستطيع فعله، نُعرض عنه، وحين ندرك ما لا نستطيع دفعه، نسلِّم للَّه - تعالى - به؛ ونحتسب فيه. لدينا مئات الآلاف بل عشرات الملايين من العلماء والباحثين الذين يتحدثون عما يعرفون، وليس لدينا إلّا النزر القليل من الذين يتحدثون عن المشكلات غير المحلولة وعن المعلومات الناقصة والخبرات الفجة، وقد أدى هذا إلى وجود ضعف شديد في تراكم الخبرات المتعلقة بالموضوعات الشائكة والمسائل المستعصية، كما أدى إلى أن يبدأ الباحثون الجدد من نقطة الصفر، كما يبدأ الطفل رحلة المعرفة بتعلم كتابة اسمه! لهذا فنحن في أمس الحاجة إلى أن ننشر كل المفاهيم والمعارف والخبرات ذات الصلة بما نجهله، وبما أعيانا فهمه، وأتعبتنا الإحاطة به.. دعونا نتساءل في البداية عن الأسباب الجوهرية لقصورنا في الفهم وارتباكنا في التعامل المعرفي مع الكثير من القضايا والمسائل المتنوعة، ثم نتحدث بعد ذلك عما يفرضه علينا ذلك القصور من مواقف وسلوكات:

Telegram:@mbooks90

١ - البشر بمجملهم لا يعرفون تفاصيل كل ما يجري،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فأنا لا أعرف ماذا يجري الآن في أوروبة أو أفريقية، والذين هناك لا يعرفون تفاصيل ما يجري في آسيا، بل إن أبناء القرية الواحدة لا يعرفون تفاصيل كل ما يجري في قريتهم على نحوٍ مباشرٍ من أخبار بعضهم بعضًا. أضف إلى هذا أن العلم الذي تراكم لدى البشرية لم يتوصل إلى كشف كل العناصر المكونة للبيئة، ولا إلى كشف العلاقات التي تربطها والتفاعلات التي تجري بينها، كما أن البشر لا يعرفون أسباب ما يجري أو كل ما يجري على وجه دقيق، وعلى سبيل المثال فإن هناك حزمة كبيرة من الأمراض التي تصيب الإنسان والحيوان، وليس هناك من يعرف أسبابها، ولا من يعرف العلاقات التي يمكن أن تربط بين عشرة أعشاب نادرة في الصين ومرض نادر وغامض في أفريقية. إن الجهل بما يجري وببعض أجزاء وجودنا على هذه الأرض وبالعلاقات التي تتبادلها الأشياء.. جعل مجال الظن والشك والوهم والتخرص والادعاء والتقول واسعًا للغاية، وهذا وحده كافٍ لجعل رؤى أفضل الناس عقولًا تضطرب، وتحار حيال أعداد كبيرة من الظواهر والقضايا الطبيعية والإنسانية والحضارية.

٢ ـ من الواضح أن القصور الذاتي هو الطابع الأساسي للوجود الإنساني، وسمة القصور الذاتي هذه دفعت الناس دفعًا إلى أن يعتمدوا على بعضهم في فهم الوجود؛ فهناك من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعلِّم، ومن يتعلم، وهناك من يستشير، ومن يُشير، ومن يرى الشيء، فيحدِّث به من لم يره، ومن يعقل الشيء، ويدرك تفاصيله وخفاياه، فيشرحه لمن لم يسمع عنه إلا القليل، هذه العلاقات الاعتمادية تقوم أساسًا على (اللغة) المنطوقة والمكتوبة، حتى الرموز والإشارات - مثل لوحات التحذير وإشارات المرور - تعتمد في دلالتها على اللغة، وهنا تدخل البشرية في تعقيد جديد؛ إذ إن اللغة منتَج بشري، وما أنتجه البشر يظل قاصرًا؛ ولهذا فإن لدى علماء اللغات في أنحاء العالم إجماعًا على أن النظم اللغوية نظم قاصرة في التعبير عن حاجات البشر، وقاصرة عن تحقيق التواصل الكامل بينهم، وهذا القصور يأتي من قصور نظم الكلام؛ حيث إننا في أحيان كثيرة لا نجد الكلمات والتعبيرات التي تترجم أفكارنا ومشاعرنا على نحو دقيق، وكما نريد بالضبط، وكثيرًا ما نقول حين نراجَع في بعض ما نطقناه: إننا لم نرد هذا، وإنما أردنا كذا، ولكن خاننا التعبير، كما أن قصور اللغة يتجلى في قصور نظم الفهم والتأويل لما نسمع ونقرأ، ووجود عشرات التفاسير المطولة والمختصرة لكلام اللَّه العزيز دليل واضح على ما نقول، والخلافات الذائعة بين الفقهاء الدستوريين على مستوى العالم وبين القضاة والمحامين، تقدم أدلة إضافية على سطوع هذه الحقيقة.

وشيء من إشكال استخدام اللغة يعود إلى طبيعة تركيب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(المخ البشري)؛ إذ إنه يتعامل مع اللغة الكمية والدلالات الرقمية والإحصائية بكفاءة عالية، لكنه يُبدي الكثير من الارتباك حين يتعامل مع ما هو من قبيل اللغة الكيفية، فنحن نعبر عن الصدق والأمانة والشجاعة والاجتهاد والخمول والفرح والرضا... بتعبيرات كثيرة، يتلقفها الدماغ على أنها تعبيرات غير دقيقة وغير جادة وغير وافية؛ ولهذا فإنه يسمح لنفسه بتأويلها على نحو شبه احتياطي، مما يجعل التواصل العقلي والشعوري لدينا واهيًا وموضع تساؤل. ولا أعرف أي دواء حاسم لمعالجة هذه المشكلات، لكن يمكن عن طريق إعادة تكوين العادات الكلامية لدى الناس أن نحرز بعض التقدم على هذا الصعيد.

* * *
* *
*

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوضوح

(٢)

عقولنا لا تتعامل مع القضايا والمشكلات وكل أشكال الموجودات على نحو مباشر، وإنما من خلال تجسيدها في مجموعة من الصور المترابطة والناشئة عن الرموز والمصطلحات والتعريفات والتقسيمات والأحكام ذات الصلة بكل قضية من تلك القضايا... إن من الواضح أن شدة الذكاء وضخامة التحصيل العلمي والاحتراف المنهجي في البحث - لم تكن كافية في يوم من الأيام لقطع دابر النزاع حول أيٍّ مما ذكرناه، وعلى سبيل المثال فإن اختلاف الناس حول الكثير من (التعريفات) جعلهم يقفون عاجزين أمام حسم القضايا المرتبطة بها، وسأذكر هنا مثالًا سريعًا لذلك من خلال ذكر التساؤلات التي تدور حول تعريف (الالتزام) وتعريف الشخص (الملتزم): حين نقول: هذا مسلم ملتزم، فماذا يعني ذلك؟ هل يعني أنه يؤدي الواجبات والفرائض ويتجنب الوقوع في الكبائر والموبقات، أم أنه يعني أيضًا أداء النوافل وفعل السنن والمستحبات، واجتناب ما هو من قبيل المكروه والمرغوب عنه وخلاف الأولى؟ وإذا وقع الملتزم في كبيرة، فهل يخرجه ذلك من دائرة الالتزام؟ وإذا كانت التوبة من الكبيرة تعيد صاحبها إلى مصاف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملتزمين، فما الموقف من الذي يقع كل أسبوع في كبيرة ولا يلبث أن يُتبعها بتوبة؟ وكل هذا مبني على أن تعريف الكبيرة متفق عليه، وليس الأمر كذلك على ما هو معروف ومشهور! ونظرًا لغموض كل ذلك، فإن الناس يحاولون دائمًا التشبث بأي شيء من أجل العثور على معيار يستعينون به على إصدار الحكم الملائم. وأنا أذكر كيف أن الناس في كثير من أصقاع العالم الإسلامي ينظرون إلى من أدى فريضة الحج على أنه قد بلغ مرتبة عالية جدًّا في التمسك والالتزام، ولهذا فإنهم يظلون يستهجنون منه الوقوع في أي مخالفة شرعية، ولطالما سمعنا من يقول: حاج، ويكذب! حاج ويأكل حقوق الناس! حاج ويسمع الأغاني!.. ولطالما رأينا من يغضب إذا لم تقرن اسمه بلقب حاج؛ لأنك بذلك تنزع منه وسامًا عظيمًا، أو تبدو في صورة المستخف به! وهذا كله مع أن شعيرة الصلاة أعظم حرمة عند اللَّه - تعالى - من شعيرة الحج أو الزكاة.. ومع أن المحافظ على الصلاة يقوم بعمل عظيم، ويبذل جهدًا مستمرًّا أكبر بما لا يقارن من الجهد الذي يبذله الحاج، لكن الناس نظروا - بحسب أمزجتهم واجتهاداتهم - إلى أن الحج يشكل فاصلًا كبيرًا جدًّا بين تاريخين أو مرحلتين من مراحل العمر؛ ولهذا فإن الشخص بعد الحج يجب أن يكون شخصًا مختلفًا جدًّا عما كان عليه من قبل! ويختلف الناس في الملتزم من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجه آخر حيث ينعته بعضهم بأنه متعصب، وينعته آخرون بأنه متشدد، وينعته فريق ثالث بأنه منغلق، وأضاف الغرب والحاطبون في حباله من قومنا في السنوات الأخيرة، نعوتًا جديدة لمن عليهم ملامح الالتزام، ومن تلك النعوت: (إرهابي)، (متطرف)، (أصولي)، (ظلامي)، (رجعي)، (متخلف)...

والعجيب أن كثيرًا ممن يطلقون هذه الألقاب على المتدينين، يمتنعون عن مناقشتها والتداول في مدى انطباقها على من يمكن أن نسميه (المسلم الصالح) أو (المسلم الملتزم). وعلى سبيل المثال فإن الولايات المتحدة ترفض رفضًا باتًّا عقد مؤتمر دولي من أجل تحديد مفهوم (الإرهاب) حتى يعرف العالم: هل ما يقوم به الفلسطينيون ضد اليهود هو من باب مقاومة المحتل أو من باب الإرهاب والعدوان على الأبرياء؟ وهذا يعني ببساطة أن القوى النافذة تفر من دفع ضريبة وضوح المصطلحات والتعريفات، وتستغل غموضها للبطش بأعدائها، وهذه القوى قد تكون داخل البلدان الإسلامية، وقد تكون من القوى المناوئة والمعادية لها.

قد تقول لي: قد عرفنا الداء، وعرفنا حجم العماء الرابض في هذا التعريف، فما العمل؟

الجواب يتمثل في الآتي:

أ ـ حين نضع تعريفًا لأي شيء، فإن من المتوقع أن يعبر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك التعريف عن مدى إحاطتنا بما نعرِّفه، وعن اعتقادنا فيه ورؤيتنا له... وبما أن كل ذلك يتفاوت بين أمة وأمة وأحيانًا بين شخص وآخر، فإن من غير المستغرب أن نجد لكثيرٍ من القضايا الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية والحضارية عددًا من التعريفات المتباينة، وحين يوجد للشيء الواحد أكثر من تعريف، فإن المجال يصبح مفتوحًا أمام الانتقاء والتحيز ومسايرة الأهواء وتمرير المصالح المشروعة وغير المشروعة. الخلاصة المستفادة من هذا هي أن الحسم الكامل للخلاف في التعريفات سيظل مفقودًا، وأن الاستغلال السيئ لذلك يظل مستمرًّا.

ب - مصطلح (الالتزام) و (الملتزم) مصطلح جديد، حيث لا أعرف أن أحدًا من السلف استخدمه كما نستخدمه اليوم، ولهذا فإن علينا أن نتساءل: ما المصطلح القديم الذي استخدمه السابقون في سياق الدلالة على الاستقامة الدينية، هل هو مصطلح (صالح) أو (تقي) أو (ورع)؟ أو ماذا؟ وإذا استطعنا إلحاق مصطلح (ملتزم) بواحد من هذه المصطلحات فهل نستطيع الاستفادة من مدلول المصطلح القديم في توضيح المصطلح الجديد؟ أو يكون الخيار هو إلغاء المصطلح الجديد؟ أو ماذا؟

ج - قد نستطيع أحيانًا التغلب على مشكلة غموض التعريفات والمصطلحات من خلال وضع التقسيمات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتنويعات، كما فعل بعض نابهي علماء العقيدة والأصول والفقه حين قالوا: هناك نفاق عقدي ونفاق عملي، وهناك إيمان دون إيمان، وكفر دون كفر، وفسق دون فسق، ومن ثم فإننا نستطيع أن نقول: إن الالتزام درجات، وبذلك نكسر حدة الغموض والخلاف.

د - تفتيح الوعي الإسلامي على أهمية الوضوح في كل المسائل التي نبحث فيها، فنتعلم كيف نصبر على بذل الجهد في تحديد المصطلحات والتعريفات، وتحرير مواضع النزاع، وذكر ما ليس مختلفًا فيه، وقد كان بعض علمائنا القدامى يذكرون عقائدهم في بدايات كتبهم، فليتنا نفعل نحوًا من ذلك بذكر أكبر عدد ممكن من الأطر والمنطلقات والمفاهيم والمصطلحات والتعريفات والاحترازات التي تساعدنا على حصر دوائر النقاش في حدود ضيقة، كما تساعد من يسمعنا، ويقرأ لنا على فهم تعبيراتنا بأقل قدر ممكن من الوهم والالتباس.

* * *
* *
*

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوضوح

(٣)

من المهم أن ندرك أن الأصل في الناس هو الجهل حتى يتعلموا، كما أن الأصل في أنماط تفكيرهم هو الاعوجاج والفجاجة إلى أن يدرّبوا أنفسهم على التفكير القويم، وقد صرّح القرآن بهذه الحقيقة الناصعة؛ حيث قال - سبحانه -: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

إن من الواضح جدًّا أن الناس يكرهون الجهل بما يجري حولهم، كما تكره الطبيعة الفراغ، ولهذا فإنهم يسارعون إلى إصدار الأحكام وتقرير المسائل مهما كانت مرتكزاتهم المعرفية ضئيلة، وسطحية، وهم بذلك يزيدون الطين بلة، ويفاقمون المشكلة. كثير من الناس لا يعرفون أن (العقل) من غير معرفة هباء، وأن الذكاء من غير معرفة جيدة لا يكون كافيًا لتشكيل التصوّرات الصحيحة وإصدار الأحكام الرشيدة... وهذا التوهّم يفسِّر جزئيًّا تقاعس كثير من بني جلدتنا عن القراءة واصطحاب الكتاب، وعن البذل السخي على التعلم واكتساب المعرفة.

وهذه إشارات سريعة في هذه المسألة:

١ - إن من معايير التقدم الحضاري مقدار ما يتوفر لدى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البلد من معطيات ومعلومات وأرقام وإحصاءات... ذات صلة بالحياة اليومية للناس، وذات صلة باهتماماتهم ومشروعاتهم المستقبلية، وإنّ توفّر القدر الكافي من المعلومات والأرقام يحسِّن درجة الوعي لدى الناس، ويسهم في ارتقاء مستوى تفكيرهم، وهو إلى جانب ذلك يوفر لهم قدرًا من الأمان ضد الغش والتزوير والتزييف الذي ينتشر اليوم في كل مجالات الحياة، وعلى نحو لم يسبق له مثيل!

في الدول الفقيرة والنامية شح كبير في المعلومات؛ وذلك لأن بناء الهياكل المعلوماتية مكلف جدًّا، ويحتاج إلى درجة من التنظيم ليست متوفرة لدى كثير من الدوائر والجهات والمؤسسات الحكومية والأهلية، وهذا الفقر المعلوماتي يشجِّع الكثيرين على الكذب واللعب بعقول الناس وخداعهم، وفي بلدان إسلامية كثيرة تتحكم الحكومات وموظفوها بإدارة المعلومات والإحصاءات، وفي ظل ضعف المساءلة والمحاسبة الشعبية فإن موظفي الدولة يستطيعون نشر ما يريدون من أرقام، وحجب ما لا يريدون نشره على مقتضى مصلحة الحكومة ومصالحهم الخاصة، وهذا جعل الثقة بما يُنشر ضعيفة، وأحيانًا معدومة، وقد قال أحد الكتاب يومًا: إننا لا نحصل على أي أرقام صحيحة، حتى درجات حرارة الطقس هناك مَن يتلاعب بها! وهذا الكلام مع أنه لا يخلو من المبالغة إلّا أنه يشير إلى الإحباط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي يعاني منه كثير من الناس على هذا الصعيد، ومن هنا فإنه لم يعد من المستغرب ما يُلاحظ من ذلك الارتباط الوثيق بين تدني مستوى الشفافية والإفصاح وبين الرشوة والفساد الإداري والمالي وخراب الأخلاق والذمم، وإن التقارير السنوية لمنظمة الشفافية الدولية، تضع معظم الدول الإسلامية في ذيل الدول على مستوى النزاهة والاستقامة الإدارية والمالية؛ وهذا على مقدار ما هو مخجل محفّز لنا على التحرك من أجل فهم الأسباب الموضوعية والتفصيلية لذلك، ومحاولة معالجة تلك الأسباب.

٢ - لم يستطع علماء الأمة ومثقّفوها الشرعيون ودعاتها نقل الإنجازات الضخمة لعلماء الحديث على مستوى التثبّت والتدقيق في الأخبار والآثار المروية، لم يستطيعوا نقلها من الإطار (الأكاديمي) والتنظيري إلى الثقافة الجماهيرية العامة؛ إذ لا نجد إلّا القليل من التحرّز تجاه تداول الشائعات والأخبار الكاذبة، وإلّا القليل من التبصُّر في مضمون ما يتم تداوله ومدى وثاقته وصحّة نسبته إلى قائله، ولهذا فإن لدينا الكثير الكثير من الخرافات، والكثير من المعطيات اللينة التي لا تصمد في وجه أي تمحيص أو اختبار، إن العقل البشري في بنيته العميقة يقبل الخداع والتضليل على نطاق واسع؛ ولهذا فإن الأكاذيب التي يتم نشرها تؤثر في أحكامنا وطروحاتنا على نحو هو أكبر مما نظن، وهناك شريحة واسعة من الناس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يمكن وصفها بأنها ضحية حقيقية للمراوغة اللغوية وصناعة الكذب المتعاظمة!

ليس هناك من حل لهذه المعضلة سوى إيجاد ثقافة الاهتمام بالأرقام والإحصاءات، وعلى الجماعات والمؤسسات والجامعات الإسلامية أن تجعل من نفسها قدوة في الشفافية والإفصاح والصدق، فتؤسس أقسامًا للإحصاء والمعلومات تابعة لها، وتكون مستعدة لمناقشة ما يُقال حول المعلومات التي تنشرها، وعلى الدول أن تُلزِم الدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات الخاصة بالقيام بنحو من ذلك. إن المعلومات مثل السياسة أكبر من أن تُسنَد إلى جهة واحدة، وإن وجود معلومات وأرقام واردة من جهات مختلفة، يساعد الناس على تشكيل رؤى معتدلة للقضايا الحياتية المختلفة، ويساعدهم في الوقت ذاته على النجاة من مآسي الأرقام المغلوطة.

٣ - من أمن العقوبة أساء الأدب، ومن أمن الفضيحة تمادى في السوء والرذيلة، هذه هي طبيعة الناس، وهذا هو حال كل الذين لا يجدون رادعًا من دين أو خلق متين، ومن الواضح أن ضعف النقد الثقافي والاجتماعي لدى الكثير من الشعوب قد جرّأ من لا يعرف على قول الخطأ والباطل، وشجع المنحرفين على المضي في طريق الانحراف، ومن هنا فإن تنشيط سوق النقد وتوسيع مجال حرية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التعبير يشكلان نقطتين مهمتين على صعيد مكافحة تزوير المعلومات، والحد من الشائعات وسيطرة الرؤى الأحادية. إن الاستقامة المعرفية تحتاج إلى اعتماد أسلوب نقد الفكرة بالفكرة، ومقارعة المعلومة بالمعلومة، وتمحيص البحث بالبحث، ومواجهة الاقتراح باقتراح آخر.... وما لم يتم اعتماد هذا الأسلوب، فإن من المتوقع أن يستمر الإنتاج الثقافي الرديء، والقادر على طرد الإنتاج الجيد، ومحاصرته كما تفعل العملة الرديئة بالعملة الجيدة!

* * *
* *
*

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوضوح

(٤)

السؤال الذي يطرح نفسه بعد كل ما ذكرناه هو: ما الذي يمكن لهذا الإنسان المسربل بالنقص والقصور أن يفعله من أجل فهم الأحداث والأشياء والأوضاع، ومن أجل تفسير وقائع الماضي، واستشراف اتجاهات المستقبل؟

لا شك في أننا نستطيع أن نفعل الكثير، كما أننا سنجد أنفسنا عاجزين عن فهم الكثير، وهذا مما لا جدال فيه؛ فالرشد المطلق والوعي الكامل والرؤية المحيطة ليس من شأن الإنسان الظفر بها؛ وذلك ببساطة لأنه ليس مؤهلًا لذلك في تركيبه العقلي واستعداده الفطري، فما الذي يمكن أن نفعله، أو ما ملامح ما يمكن أن نفعله؟ لعلي أشير على نحو موجز إلى بعض الأسس المهمة على النحو الآتي:

١ - قد يكون من المفيد أن ننظر إلى معارف الناس وخبراتهم المتعلقة بأي قضية من القضايا على أنها ناقصة وغير ناضجة، وليس في هذا أي غمط لأحد، أو استخفاف بأي خبرة؛ فما من أحد يعرف شيئًا أو يدّعي الإلمام بشيء إلا وهناك من هو أدرى وأعلم منه، كما قال ﷻ: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦]. هذه النظرة الموضوعية لأهل العلم والخبرة تبيح لنا أن نتساءل، ونناقش كل كاتب ومتحدث،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتبيح لنا أن نضع أفكاره وأطروحاته واجتهاداته على طاولة التشريح، ولِمَ لا والمفكرون والباحثون المتخصصون حين يخرجون علينا بشيء جديد، فإنهم في الحقيقة يعبرون على نحو ما عن وجهة نظر شخصية أو فئوية، ومن حقنا أن نبحث ذلك، ونقدم وجهة نظرنا فيه. هذه الرؤية المنهجية للمعرفة تساعدنا على أن نكون شركاء في تطوير الفكر والعلم عوضًا عن أن يكون دورنا مجرد التلقي والاستسلام للباحثين والخبراء، وهذه النظرة هي نظرة الراسخين من العلماء وأهل البصيرة العارفين بعمليات تكوين الرأي، ورحم اللَّه - تعالى - الإمام مالك بن أنس فإنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢] عندما يفتي في بعض المسائل العويصة..

٢ - نحن في الصحوة الإسلامية نحتاج من أجل مكافحة العماء إلى أن نُصغي بتركيز شديد إلى ما يقوله عنا المخالفون لنا، ومن هم خارج دائرة الصحوة مهما كانت اتجاهاتهم ومنطلقاتهم؛ وذلك لأن الإنسان أي إنسان يرى الأشياء ويفسر الأحداث من أفق عقائده ومسلّماته وأفكاره وخلفيته الثقافية.. ونحن حين نستخدم كل ذلك في صياغة الرؤى الجديدة لسنا معصومين، ولسنا دائمًا في أحسن أحوالنا، بل هناك قصور منهجي ومعرفي واضح لدى كثيرين منا. استماعنا باهتمام لما يُقال فينا وعنّا، ليس بسبب أننا غير واثقين من منطلقاتنا،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن لأننا نريد أن نوسِّع دوائر الرؤية لدينا، ونريد أن نستفيد من أدوات النقد والتحليل التي يستخدمها الآخرون، ومن الواضح في هذا السياق أن كثيرين منا حصروا اطلاعهم في دائرة الثقافة الشرعية والتراثية عامة، ولم يقرؤوا شيئًا ذا قيمة في علوم الحضارة والمستقبليات، ولم يطلعوا على كتب المنطق الحديث ولا على شيء من كتب الفلسفة الإسلامية وغير الإسلامية؛ ولهذا فإن طروحاتهم تكون محدودة بسبب ارتكازها على ألوان محددة من المعرفة، إنهم يفكرون داخل الصندوق، ولا يعرفون شيئًا مهمًّا عما يجري خارجه، مع أن الأحداث الجارية تتأثر إلى حد بعيد اليوم بتوجّهات القوى النافذة على الصعيد السياسي والإعلامي والاقتصادي، وكثير من تلك القوى لا ينتمي لا إلى العروبة ولا إلى الإسلام. نحن نعتبر معرفة الحقيقة هي الأساس في كل جهد إصلاحي ونهضوي، ويجب أن نحرص عليها حتى نستطيع وصف العلاج الناجح والناجع للواقع الإسلامي.

٣ - ثمة شيء أساسي على طريق وضوح الرؤية، وهو البحث المخلص والصادق عن الخطوط العريضة التي يتحرك عليها الناس، ومحاولة فهم أكبر قدر ممكن من سنن اللَّه - تعالى - في الخلق، ومحاولة فهم الطبائع التي فطر الخالق - سبحانه - الأشياء عليها؛ إذ إن لكل مجال من مجالات الحياة سننه وقوانينه التي تحكمه، وله قيمه وأخلاقياته، كما أن له

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تداعياته وضروراته الخاصة به.. وفهم كل ذلك، يساعدنا مساعدة كبرى على تحصين أنفسنا وعقولنا من سيطرة الرؤى المبتَسرة والمعلومات المزيفة والمزورة ومن سيطرة الرغبات والأهواء المضلة والمضللة، وقد كان علي ﷺ يقول: « رأي الشيخ ولا رؤية الصبي »؛ أي أن حدس كبار السن وتخمينهم واجتهاداتهم أولى بالصواب والقبول من رؤية الصبي للأشياء بعينه، وما ذلك إلا لأن الخبرة التي لدى الشيوخ تمكنهم من امتلاك فهم أعمق للنظم والقوانين الكونية، وفهم أعمق للوضعيات التي أوجد اللَّه - تعالى - فيها الأشياء، وعلى سبيل المثال فإن الذي نخافه على الشركاء هو البغي والعدوان، والذي نخافه على الفقراء هو الذل والهوان، أما الذي نخافه على الأغنياء، فهو الطغيان والاستعلاء، كما أننا نخاف على الوعّاظ من الوقوع في الكذب والمبالغة، ونخاف على العسكريين من التفكير الحرفي، ونخاف على المفكرين من الجفاف الروحي، وعلى العبّاد من التفكير الخرافي.. إننا نخاف على هؤلاء من الوقوع في هذه المشكلات؛ لأننا نعرف طبيعة هذه المجالات والاختصاصات والوضعيات، ومما يؤسفني على هذا الصعيد أن أقول: إننا لم نبذل إلا القليل من الجهد المطلوب لفهم هذه الأمور، مما أوجد لدينا قدرًا غير قليل من الاضطراب المنهجي، مع أن المتأمل في آيات الذكر الحكيم يجد الكثير الكثير من الأنوار الهادية إلى كثير من السنن والدالّة على كثير من المنهجيات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوضوح

(٥)

لدينا اليوم عدد كبير من المؤشرات المعرفية، وكمٌّ ضخم من المعلومات المتعلقة بكل جانب من جوانب الحياة، وهذه الوضعية تمكِّن كل مدعٍ أن يقول الكثير مما يريد قوله، مما جعل معرفة الصواب والحق على جانب كبير من التعقيد، وليس لدى أحد من الناس حلول كاملة لذلك، لكن هناك محاولات ومقاربات جيدة، ومن تلك المقاربات السعي إلى فهم الأمور عن طريق (النماذج)، والحقيقة أن ما سنه اللَّه - تعالى - من سنن في الخليقة بالإضافة إلى ما فطر عليه الأشياء من طبائع، إلى جانب تشابه كثير من ردود أفعال الناس على التحديات التي يواجهونها، إن كل ذلك يتيح لنا بناء (هيكل) من الأفكار والمشاعر والصور الذهنية والانطباعات... نتمكن من خلاله فهم الأوضاع والأحوال في بلد من البلدان أو مؤسسة من المؤسسات... إننا في بناء ذلك الهيكل أو النموذج نستثمر المعلومات المتاحة في تكوين رؤية لحقيقة ما يجري على نحو استشرافي مجمل وحذر، فلا نغوص في التفاصيل، ولا نمضي مع الأقاويل والشائعات، ونعرف كيف نتعامل مع المعلومات الزائفة والمجازِفة. وهذه بعض الأمثلة الشارحة لما نريد الوصول إليه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سلوك المستعمر:

حين تقوم دولة بغزو دولة أخرى واحتلال أراضيها، فما المحددات العامة لسلوك الدولة الغازية؟

الجواب يكون باستخدام (النموذج) الآتي:

ـ تقوم الدولة الغازية بحملة إعلامية تهيِّئ من خلالها النفوس والعقول لقبول الاحتلال؛ ولهذا فإن كل الحملات الاستعمارية تبدو في نظر القائمين بها مشروعة؛ فهي إما لاسترداد حقوق مغتصبة، وإما لنصرة حليف، وإما للوقاية من خطر محتمل، وإما استجابة لنداء استغاثة من بعض أهل البلد المغزوّ.... أعذار كثيرة تُستخدم بغية جعل شريحة من الناس - على الأقل - تقتنع بمنطقية الغزو أو الاستعمار، وهذا يهدف إلى إحداث جدل داخلي وخارجي يخفف من حدة المعارضة ضد المستعمِر.

ـ يحاول المستعمِر التحالف مع بعض أهل البلد المستعمَر من خلال توظيفهم في خدمته، ومن خلال منحهم بعض الامتيازات؛ أي تحويلهم من أناس يحملون روح المقاومة إلى أناس يجدون في استمرار المستعمِر فائدة لهم، ومن هؤلاء الحلفاء يكون الحكام المحليون والمرتزقة والجواسيس، وكل أولئك الذين يقومون بتلميع صورة المستعمِر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ يحاول المستعمِر إيجاد مادة يتحدث عنها الإعلام، ويتحدث بها أهل البلد المستعمَر، وتلك المادة تشتمل في العادة على صور من رحمة المستعمِر وعدله وإنصافه وتمدّنه ورقيّه، كما تشتمل على بعض المنجزات العمرانية؛ مثل الطرق والجسور والسدود وما شابه ذلك.

ـ يسعى المستعمِر إلى التواري خلف بعض عملائه المحليين في الأمور المشينة، فيوكل إليهم إصدار بعض القرارات السيئة التي تثير حفيظة الناس، كما يوكل إليهم كثيرًا من أعمال التعذيب وفرض الضرائب؛ وذلك لخلق شعور لدى الناس بأن مشكلتهم الأساسية ليست مع المستعمِر، وإنما مع بعض بني جلدتهم، وهذا يجعل أهل البلد مهيئين لخوض حرب أهلية، تضعف الجميع، وتجعل البعض يطلب النصرة من المستعمِر على أبناء بلده وإخوانه. ويستفيد المستعمِر من هذا فائدة جُلَّى تتمثل في تراجع حدة المقاومة لوجوده، وفي شعور بعض أهل البلد بضرورة بقائه من أجل توفير الحماية لهم، أو من أجل الحيلولة دون مزيد من التدهور في الأمن والاقتصاد.

ـ يربط المستعمِر الغازي بين أبناء النخب في البلد المستعمَر وبين مؤسساته الثقافية؛ فيوفد البعثات إلى جامعاته لتكون عبارة عن حوامل ثقافية من بلاده إلى بلادهم، وذلك من أجل تعزيز ارتباط المستعمَرين بالمستعمِرين، ومن أجل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضمان استمرار نفوذه الثقافي حتى بعد رحيله عن البلاد المستعمَرة، وهذا ظاهر جدًّا اليوم، فبعد مرور ما يزيد على نصف قرن على رحيل المستعمِرين ما زالت النخب الثقافية في البلاد المستعمَرة تتوافد على ديار المستعمِرين للتعلم والتداوي والتجارة واقتباس المناهج...

يقوم المستعمر قبل رحيله بتغيير ما يمكن تغييره من مناهج التعليم، ويُعلي من مقام لغته في المدارس والجامعات، كما أنه يربط أهل البلد المستعمَر بعقود واتفاقيات طويلة الأجل تضمن له الاستمرار في التأثير في أوضاع البلاد التي انسحب منها.

قد يقول قائل: ما ميزات (مكافحة الغموض) عن طريق بناء النماذج؟

أقول: الميزات كثيرة وعديدة ففي مثالنا هذا نجد الآتي:

أ - حسم ما يمكن أن ينشأ من خلاف حول تحديد ماهية تدخل دولة في شؤون دولة أخرى، كما هو الشأن في العراق وفلسطين؛ حيث ترفض أمريكا وإسرائيل وصفهما بالمستعمرتين أو المحتلتين، وحين نفهم النموذج ونطبقه عليهما نجد أنهما دولتان مستعمِرتان بتوحش.

ب - فهم وتفسير أنشطة المستعمِر، فنحن من خلال فهم النموذج نستطيع فهم ونقد وتحليل سلوك المستعمِر، بل إننا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نستطيع توقعه والتنبؤ به، وهذا يساعد أهل البلد المستعمَر على عدم الانجرار خلف المستعمِر، كما أنه يوحّد صفوفهم في مقاومته.

ج - الاهتداء إلى أسلوب معالجة ظاهرة الاستعمار ومعالجة أسبابها والنتائج التي تترتب عليها.

د - العمل على تحصين البلاد من دخول الاستعمار؛ أي تحسين أوضاعها حتى لا تكون قابلة للاستعمار.

* * *
* *
*

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوضوح

(٦)

تحدثت في المقال السابق عن سلوك المستعمر بوصفه نموذجًا يساعدنا على التغلب على الغموض، ولا سيما عند شح المعلومات، والآن أتحدث عن الأخلاق والسلوكيات الناجمة عن الزحام بوصف ذلك نموذجًا آخر في محاولة شرح ما نرمي إلى توضيحه:

كيف يتصرف الناس حين يعيشون في مكان ضيق ومزدحم مدةً طويلة من الزمان؟

هذا السؤال يتعلق بإحدى الظواهر الاجتماعية المهمة؛ إذ إن من الملاحظ أن للمكان تأثيرًا كبيرًا في إبراز أنواع معينة من السلوك وإثارة أنماط محددة من المشاعر، وسيكون من المفيد جدًّا فهم ذلك عن طريق (نموذج) واضح المعالم، وهذه محاولة صغيرة على هذا الصعيد:

١ - فطر اللَّه - تعالى - الناس على حب التملك وحب الاستقلال؛ ولهذا فإنهم يحاولون الاستحواذ على أوسع مساحة ممكنة من الفضاءات المعنوية والمادية، فلا تكاد ترى شخصًا سويًّا يبحث عن الدونية والمكانة المنخفضة، كما أنك لا تكاد تجد شخصًا سويًّا يبحث عن مكان ضيق يقيم فيه، أو يبحث عن شخص يشاركه في المساحة المملوكة له.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والذي يبدو أن هذا الميل ليس خاصًّا بالإنسان؛ فهناك دلائل عدة، تشير إلى أن كثيرًا من الكائنات الحية، يسعى إلى امتلاك حيز خاص به، وينظر إلى من يتجاوزه على أنه عدو، تجب مقاومته. وقد ذكر بعض الباحثين أن بعض الأسماك يطلق رائحة كريهة من أجل منع أي كائن من الاقتراب من المساحة التي يعدها مجالًا حيويًّا له.

٢ - هذا يعني أننا حين نضع عشرة من الرجال أو الأولاد في حجرة ضيقة يسكنها في العادة شخص أو شخصان، فإننا نعرِّضهم لصعوبات وتوترات، تشبه ما يتعرض إليه المساجين في دولة متخلفة! ما النموذج الذي يقدمه هؤلاء العشرة على الصعيد الخلقي والاجتماعي؟ في ملامسة الجواب يمكن أن نقول الآتي:

Telegram:@mbooks90

أ - سيشعر كل من في المكان بالضيق وشيء من الاكتئاب والملل؛ وذلك لأن هذه الوضعية مخالفة لما فُطر عليه الإنسان من بسط سلطانه ونفوذه على أوسع مساحة ممكنة. وقد دل العديد من الدراسات على أن الناس حين يعيشون في مكان واسع وأنيق يتبادلون فيما بينهم مشاعر أكثر حميمية، ويكونون أشد تعاطفًا، وحين يعيشون في مكان ضيق أو قذر أو فوضوي قد بُعثرت محتوياته، فإنهم يتبادلون مشاعر الضجر والتقزز والضيق.

ب - سيشعر كل واحد من سكان المكان أن الذين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يساكنونه يزيدون في ضيق المكان، ويشكلون ضغطًا عليه، أي أن وجودهم غير إيجابي، ويتمنى لو كان عددهم أقل، حتى لو كان أولئك الساكنون أخيارًا وطيبين أو كانوا إخوة وأقرباء، فالناس عند ازدحام المصالح يقدمون مصالحهم في الأعم الأغلب، والإيثار هو الشيء القليل الذي يشبه الاستثناء والشذوذ.

ج - المنزل الذي يسكن فيه أولئك العَشَرة سيفقد قدرته على القيام بوظائفه؛ فالمكان ككل الأشياء يفقد الكثير من ميزاته ووظائفه إذا حمّلته فوق طاقته: الجلوس في ذلك المكان والنوم والحركة... كل ذلك سيكون غير جيد ولا مريح، وأماكن الخدمة الملحقة بالمنزل ستكون أيضًا في حالة سيئة...

د - سيتعرض كل مَن في المكان المشار إليه إلى امتحان صعب؛ إذ إن المطلوب منهم جميعًا أن يظهروا بمظهر المسرور المطمئن والراضي بما هو فيه، مع أن واقع الحال ليس كذلك؛ ولهذا فإن معظمهم سيخفق في هذا الامتحان، وستجد الأنانية والأثرة والمحاصّة والتبرم، وستجد التوتر والنزق... والسبب من وراء كل ذلك أنهم لا يعيشون في وضع طبيعي بسبب عدم أهلية المكان لاستيعابهم.

هـ - في هذا المكان الضيق يحدث نوع من الانكشاف الثقافي المؤذي، فنحن نقدِّر بعضنا، ونتعاذر لعدد من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأسباب، من أهمها أننا نستطيع من خلال قلة الاحتكاك بيننا أن نحجب عن بعضنا بعض المواقف والوضعيات والتصرفات التي تعكر الصورة الذهنية التي رسمها كل واحد منا عن معارفه وإخوانه وزملائه... أما في هذه المعايشة الصعبة فإن قدرة السكان على الظهور بالمظهر اللائق على نحو مستمر ستكون محدودة؛ إذ إنهم سيفقدون الكثير من طاقتهم الروحية على التصنع والتجمل؛ ولهذا فإن كل واحد منهم - وهذا في الغالب - سيشعر أن التقدير المتبادل بينه وبين مَن حوله هو أقل من المعتاد والمألوف، وربما تقع بينهم عداوات يصعب في المستقبل تجاوزها.

وقل مثل هذا في شأن ازدحام السيارات في الشوارع ولا سيما في أوقات ارتفاع درجات الحرارة؛ إذ يشتد نزق الناس حين تضاء الإشارة الخضراء مرات عديدة وهم في أماكنهم لم يتحركوا إلا مسافات قصيرة؛ ولذا فإن من الصعب الالتزام بأنظمة المرور في حالات الزحام الشديد، حيث يشعر الناس أنهم فيما يشبه حالة الطوارئ، ولذا فارتكاب المخالفات ليس شنيعًا!

ولك أن تقول مثل هذا في حالة الازدحام على الخدمات العامة؛ إذ إن من المؤذي جدًّا للمرء أن يجلس على باب عيادة طبيب أربع ساعات وهو يعاني من الألم دون أن يحظى بالدخول؛ في هذه الحال يمكن للناس أن يستسيغوا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دفع الرشوة واستخدام الوساطة والتحايل على بعضهم من أجل الدخول في وقت مبكر...

إن فهم هذا النموذج على نحو جيد يساعدنا على تقدير مخاطر (الزحام) والعمل على تلافيها، كما يساعد الآباء والأمهات على القيام بدورهم التربوي في حالة ازدحام مسكنهم الضيق بالكثير من الأبناء والبنات.

إن المزيد من الفهم يعني المزيد من الاقتصاد في الجهد والمزيد من التقدم؛ واللَّه ولي المتقين..

* * *
* *
*

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رشد منقوص

(١)

الإنسان مجمع ضخم للمتناقضات، فهو كائن شديد الذكاء عظيم الوعي، مبدع ومخترع وقادر على التفكير في نفسه، وهو إلى جانب ذلك صانع للوهم والخرافة ومستهلك لهما، وقابل للمتاجرة والتزييف في كل زمان ومكان! هناك سؤال جوهري من المهم أن نجيب عليه، هو أن الإنسان الذي يخترع اليوم كل الأشياء الدقيقة، ويحسب بعض الأنشطة بواحدة على ألف من الثانية، ويقدِّر أعمار بعض المخلوقات بملايين السنين... هذا الإنسان شديد التخبط والارتباك في كثير من جوانب حياته، ومن السهل خداعه وإغراؤه بما فيه هلاكه وحتفه، ولا أشعر أن هناك أي أمل في التخلص من هذا، فما أسباب هذه الوضعية؟ وكيف يمكن التعامل معها؟ هذا ما أحاول الإجابة عليه في هذه المقالة وما بعدها:

إن العقل الإنساني غير مكتفٍ بنفسه، بمعنى أنه لا يستطيع صناعة الوعي بالعالم من حوله اعتمادًا على قواه ومعطياته الذاتية، وإنما يحتاج إلى تثقيف مقصود، وإلى بيانات ومعلومات يشتغل عليها حتى يتمكن من بلورة مفاهيم ومقولات ومدركات تضيء طريقه، وتسدِّده في عمله،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ودليل هذا ذلك الفارق الكبير بين المحاكمة العقلية التي نجدها عند المتعلم تعلمًا عاليًا وبين شخص بدائي أو أمي، أو شخص نال القليل من المعرفة والخبرة. ولا بد من أن نلاحظ إلى جانب هذا أن كل الناس يفكرون وينظِّرون، ويُصدرون الأحكام، ويحاولون فهم أسباب وتداعيات الأحداث، ولا شك أن في الناس من هو غبيّ، ومنهم من هو مصاب بمرض عقلي أو نفسي، وفيهم المأزوم، والذي يشعر بالظلم الشديد، ومن هو مشبوب العاطفة، وسوداويّ المزاج... وهؤلاء جميعًا قد يعجزون عن التفكير بطريقة صحيحة في كل الأحوال وكل المسائل، ولذا فإنهم يُسهمون على نحوٍ ما في تشويش الإدراك الإنساني العام، وفي تقديم أفكار ومعلومات مشوَّهة، والمشكل أن الذين عافاهم اللَّه - تعالى- من هذه المشكلات لا يستطيعون إدراك تلك النقائص وآثارها على نحو جيد، وهذا يسهِّل انتشار الأفكار والأحكام الخاطئة.

حدثني مرة أحد الأشخاص المتعلمين عن أنه رأى في ساحة كلية الطب في بلده شخصًا مقتولًا، وقد ألقاه من غدر به في بركة ماء هناك، وأن تلك الحادثة تكررت غير مرة، وأنه شاهد ذلك بأم عينه، وكنت أنا مندهشًا كيف يتكرر حادث عنيف كالذي يتحدَّث عنه الرجل دون أن تكون هناك محاسبة وتتبع لمن يفعل ذلك! وحين فارقت الرجل قال لي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحد الأصدقاء الذين سمعوا ذلك: إن الكلام الذي قاله فلان غير صحيح، وهو يروي ما يرويه عن اعتقاد وجزم بسبب نوع من الاضطراب في التوهم لديه.

ولا شك في أن بعض من يسمعون ما قاله صاحبنا يصدقون به، وينشرونه بين الناس، وهناك طبعًا من هو مستعد للتصديق، ومستعد لإضافة شيء إلى ما سمعه والقيام بنشره وإعادة تصديره.

إن في إمكان العقول غير المثقفة وغير المتعلمة أن تصنع من الهذيان ومن الأوهام قصَّة حسنة الحبك وذات صدق منطقي معقول لدى بعض الناس، ومع توالي الأيام والأجيال تكتسب الأوهام صلابة بسبب قِدَمها وعراقتها، وهذا أصلٌ لكثير من الخرافات السائدة في أماكن كثيرة من العالم اليوم.

من الواضح أن عقولنا مجهَّزة على نحو حسن لفهم العلاقات الخطية والمنظَّمة؛ فنحن ندرك بسهولة العلاقة بين المرض وارتفاع الحرارة، والعلاقة بين الفراغ والشعور بالملل، كما ندرك العلاقة بين تناول الطعام والشعور بالشبع، لكن فهم العلاقات المبعثرة والأفقية يظل أمرًا يحتاج إلى بحث وتجربة، وستظل السيطرة عليه ناقصة، وعلى سبيل المثال، فقد يتفشى مرض في دولة أفريقية ويكون شفاؤه في عشبة موجودة في الهند، فكيف يمكن اكتشاف العشبة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتصنيعها من قِبل أشخاص لم يسمعوا بالمرض الموجود في أفريقية؟ وكيف يمكن للمريض في أفريقية أن يعرف أن في الهند عشبة فيها علاجه وبرؤه من دائه؟ ولهذا فإن من الممكن أن يجد ذلك المريض عشرات الأشخاص المشعوذين والمخادعين الذين يدّعون أن لديهم الدواء الناجح لعلته، وقد يجد نفسه مدفوعًا أو مضطرًّا لقبول ادّعاءاتهم، وقد يُشفى ذلك المريض لسبب مجهول، وينسب ما منَّ اللَّه به عليه من العافية لدواء أحد المشعوذين، ويأخذ الناس عنه ذلك، وتتولد عن ذلك قصص وحكايات تتناقلها الأجيال..! إنه ما دام هناك أجزاء من الواقع غير مكتَشفة ولا مفهومة، فإن تلك الأجزاء ستظل مصدرًا لإنتاج الأوهام والأحكام غير المختبرة ولا الممحَّصة، وهذا ما يحدث في كل مكان من العالم!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رشد منقوص

(٢)

إن اللَّه ﷻ جعل الأرض محدودة، وجعل الإنسان كذلك محدودًا، ومحدودية الإنسان على المستوى العقلي والشعوري تحول بينه وبين استيعاب كل الأحداث، ورؤية كل ما يجري في الواقع، كما أن الحقائق ليست بسيطة - كما يبدو لنا - بل هي مركَّبة ومعقدة، بل يمكن القول: إن كل حقيقة من حقائق الوجود مكونة من مجموعة من الطبقات، ولا نستطيع استيعاب أي طبقة منها إلا إذا امتلكنا المفاهيم والمعلومات التي تمكننا من اجتراحها والنفاذ إليها، وبما أن هذا ليس متيسرًا لكل الناس وفي كل الأوقات، فإننا نستطيع القول: إننا لن نتوقع للوعي الإنساني أن يكتمل، أو يملك قدرًا مقبولًا من الإجماع أو الرؤية الموحدة حول كثير من القضايا الكبرى والمهمة، لكن مع كل هذا فلا بد من أن نستمر في هتك الحُجب التي تحول بيننا وبين ما ينبغي أن نراه بالطريقة الصحيحة. ضمور المفاهيم وقصورها منتشر في البيئات الأمية والبيئات ذات الثقافة الشفاهية على نحو واسع جدًّا، وحين نفتقد المفاهيم أو نمتلك مفاهيم قاصرة، فإن عقولنا تكون أشبه بحاسب آلي لم تتوفر له برامج جيدة، أو أشبه بجيش منزوع السلاح، أو أشبه بطاحون لم نضع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيها أي نوع من الحبوب، وهكذا فإن قصور مفهوم الكرامة يجعل الناس يقبلون بالإهانة من حيث لا يشعرون، وإن قصور مفهوم الحرية، يجعل الناس يرسفون في أغلال الاستعباد إلى ما لا نهاية، كما أن قصور مفهوم (المروءة) يجعل الناس يقفون مواقف الدناءة والجفاء وهم يحسبون أنهم راقون ومتحضرون!

إذن يشكل إثراء المفاهيم وصقلها ونشرها بين الناس وتحسين درجة وعيهم بها - أولوية مطلقة على صعيد السعي إلى امتلاك الرشد العقلي، ولا بد مع هذا من تسليط الضوء على العادات الفكرية التي تجعل العقل لا يعمل بطريقة صحيحة، وتلك العادات كثيرة في الحقيقة، لعلي أشير إلى شيء منها عبر الآتي:

١ ـ الخضوع للسلطة العلمية:

إن العالم الشهير الموثوق يوجِد هالة حول نفسه، وبسبب تلك الهالة يهاب الناس الإقدام على مخالفته، وينأون بأنفسهم عن نقده، وقد ظل (أرسطو) يمارس هيمنته وسلطته الفكرية والعلمية نحوًا من خمسة عشر قرنًا، مع أن الرجل كان يعادي التجريب والتفكير العملي معاداة صارخة، وحين تجرأ الغرب على نقد فكر ذلك العملاق، وجد أن الخلاص من سلطته ومن الإرث اليوناني عامة كان شرطًا لتقدم البحث العلمي وتقدم الصناعة والتقنية على هذا النحو المذهل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونحن المسلمين مع أننا نعتقد اعتقادًا جازمًا بعدم عصمة أي واحد من علمائنا العظام وأئمتنا الكبار، إلا أننا في بعض الأحيان ندافع عن آرائهم، ونتهيب من مخالفتها كما لو أنهم كانوا معصومين، وهذا أدى إلى تباطؤ حركة الاجتهاد وإلى شيوع التقليد والتكرار إلى حد مخيف! لا شك أن وضعنا اليوم في هذه المسألة أفضل بكثير مما كان عليه الحال عبر القرون السبعة الماضية، ويعود الفضل في ذلك بعد اللَّه - تعالى - إلى ما بذله تيار الإصلاح السلفي من جهود في ذم التقليد وبيان مخاطره، ومن جهود في تحرير مسائل النزاع على هدي الدليل إلى جانب التشجيع على عدم التزام الفقيه بمذهب إمامه على نحو مطرد. إن من المهم جدًّا أن ينعكس تنامي الوعي لدينا على نظرتنا للتاريخ والرجال والأقوال الكثيرة التي تعودنا الاستشهاد بها والاستسلام إليها، وعلى سبيل المثال فإن قول هارون الرشيد للسحابة: «أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك». يدل ولا شك على اتساع رقعة الدولة الإسلامية، لكن له دلالة فرعية أخرى، هي مركزية الحكم في بغداد وتجمّع الخيرات فيها بسبب نظام دفع الخراج والضرائب، ومن الواضح أن ذلك النظام لم يكن صالحًا بما يكفي، فعاش أهل بغداد - أو كثير منهم - في سعة ورغد على حين عانى سكان القرى والبوادي من الفقر والقلة. بعض الناس لا يقبلون أي ملاحظة على أي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، ويشعرون بالوحشة عند انتقاد أي شخصية إسلامية، ومن كان هذا شأنه فإنه يساعد على تكريس الأخطاء ودوام الانحرافات، وهو إلى جانب هذا لا يستطيع تقديم تفسير مقبول لتراجع الدور الحضاري لأمة الإسلام، وتحولها من أمة قائدة ورائدة إلى أمة ضعيفة مستضعَفة.

٢ - سلطان القدم:

كثير من الناس يعاملون أقوال الرجال كما نعامل (دهن العود)؛ إذ كلما كان أقدم كان أفضل وأقيم، وهذا بعيد عن الرشد وعن الصواب؛ إذ إن التاريخ يكشف لنا كل يوم عن الكثير من المعتقدات والأقوال الخاطئة؛ ونحن المسلمين أقدر الناس على محاكمة أقوال الرجال سواء أكانوا في القرن الأول أم العاشر بسبب ما أكرمنا اللَّه به من الوحي المعصوم، أضف إلى هذا أن كثيرًا من الأقوال ينتمي إلى مرحلة (طفولة البشرية) ومن ثم فإنه لم يكن ناضجًا بالقدر الكافي، والعجيب أن بعض الناس اليوم يقلبون الأمور رأسًا على عقب كما يحدث لو أن ابن الثمانين أسلس قياده في كل أمره لابن العاشرة!

الدليل الشرعي والوعي الكوني والخبرة العريضة محطات عظيمة في وزن أقوال الرجال ونقدها مهما كان العصر الذي عاشوا فيه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رشد منقوص

(٣)

الإنسان كائن يتعلم باستمرار، وهذا يعني أنه سيظل يكتشف ما كان لديه بالأمس من جهل وقصور في الفهم، ولو افترضنا جدلًا أن تدفّق المعلومات والأفكار والأخبار والبحوث والتحليلات يتم بطريقة موضوعية وطبيعية، فإن استيعاب المرء لذلك القدر الهائل المتدفق والقادم من كل حدب وصوب سيظل منقوصًا، فنحن لا نستطيع أن نطّلع على كامل المعلومات المتعلقة بالصحة العامة والأغذية التي نتناولها والأجهزة المتنوعة التي نستخدمها، كما أننا لا نستطيع الاطلاع على كل البحوث والدراسات التي تتحدث عن توصيف المشكلات والأزمات التي نعاني منها... هذا كله يعني أن فهمنا للأمور يظل غير مكتمل، ومتفاوت، وأحيانًا متناقض، لكن ليس هذا ما يقلقني، إنما الذي يقلقني ذلك الجهد الضخم والمال الوفير الذي يُبذل من أجل خديعة الناس، وجَعْلهم يرون الأشياء على غير ما هي عليه؛ ولعلي أتحدث في هذا المقال عن تزييف الوعي عن طريق الدعاية والإعلان وخطورة ذلك على التفكير الراشد.

إن المشكل الذي كثيرًا ما نواجهه لا يتصل بالأشياء واضحة البطلان؛ فالتعامل مع هذه سهل، لكن المشكل يكمن في تلك الأشياء المشروعة التي يتم التلاعب بها،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتمادي فيها حتى تتحول إلى أشياء باطلة وخطِرة.

إن العالم يُنفق سنويًا على الدعاية والإعلان ما يزيد على ستمائة مليار دولار، وهذه الأموال الطائلة تستهدف الترويج لكثير من البضائع والمنتجات والخدمات المتوفرة!

إن تعريف الإنسان الناس بسلعة يودّ بيعها شيء مشروع في الأصل، وهو حق من حقوقه، لكن الذي يتم الآن شيء يتجاوز ذلك بكثير.

وهذا التجاوز يتجسد في العديد من الأمور:

١ - على مدار التاريخ كان الإنسان ينتج ليستهلك، أي ينتج ما يحتاج إليه، لكن فن الدعاية والإعلان قلب المعادلة، وصار يطلب من الناس أن يتوسعوا في الاستهلاك حتى تتوسع الشركات والمصانع في الإنتاج، والوسيلة المتَّبعة في ذلك تعتمد على التضليل وقول غير الحقيقة، وبما أن الناس لا يعرفون عن كل شيء إلا أقل القليل، فإنهم يكونون مستعدين لتصديق كثير مما يسمعونه.

إن الإعلان التجاري يحاول دائمًا إشعال الرغبة في الاستهلاك وإيجاد رغبات جديدة؛ حيث يقول لك المعلنون: إذا أردت أن تكون سعيدًا فاشترِ العطر الفلاني، واستخدم الصابون الفلاني، وإذا أردت أن تحسّن مزاجك فكل (الشُّوكُلاتة) الفلانية، وإذا أردت أن تشعر بالثقة بالنفس فاركب السيارة الفلانية.. الناس يتجاوبون مع ما تقوله الدعايات، ويتداولون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما يسمعونه، ويصبح جزءًا من نسيجهم الفكري والثقافي، ويورِّثونه لأولادهم وأحفادهم، مع أنه ليس هناك أي ضمانة لصحة كل ذلك، والصحيح منه تدْخُلُه المبالغةُ التي تصل إلى حد الكذب، ومع ذلك فالناس يصدقون من غير نقاش ولا جدال بسبب الضغط الرهيب لوسائل الإعلام الجبارة؛ إذ كيف سأقول إن الحذاء الفلاني ليس هو أفضل حذاء في العالم، وقد شاهدت في خمس فضائيات وقرأت في ست جرائد وعشر مجلات ما يؤكد أنه الحذاء الأفضل دون منازع؟ وهكذا تتكون المعتقدات والمفاهيم الخاطئة.

٢ - يتم استخدام المشاهير في تغيير قناعات الناس، والحقيقة أن وسائل الإعلام تُستثمر في جهل الناس؛ إذ إن كثيرًا منا يظنون أن الإنسان إذا صار بطلًا في المصارعة، أو صار مغنيًا مشهورًا.. فإنه يعرف أفضل مدرسة لتدريس أولاده، وأفضل معجون لتنظيف أسنانه... وهذا كله غير صحيح؛ إذ إن من الثابت أن البارعين في مجال من المجالات كثيرًا ما يكونون عاديين أو أقل من عاديين في باقي المجالات، ولدينا ما لا يُحصى من الوقائع والمشاهدات على هذا.

٣ - إن التزييف يمتد إلى مجال البحث العلمي؛ حيث صارت الشركات الكبرى تدفع المال لمراكز البحوث حتى تقوم بإجراء الدراسات والبحوث التي تدل على كفاءة منتجات تلك الشركات، وإنتاج البحوث التي تنفي ما يُشاع ويُقال حول أضرار بعض المنتجات حتى لا ينصرف الناس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن استهلاكها، وهكذا صرنا نشاهد ما يمكن أن نسميه الصراع البحثي: بحوث - مثلًا - تثبت الآثار السلبية للشاي والقهوة على صحة القلب، وبحوث أخرى تنفي، والمواطن العادي غير قادر - طبعًا - على تمحيص ذلك واتخاذ موقف سديد منه، وقد لاحظنا عبر السنوات الخمس الماضية وجود فيض من البحوث التي تشير إلى الأضرار الكبيرة التي تلحقها ذبذبات الجوال بالدماغ، كما لاحظنا وجود فيض من البحوث التي تنفي ذلك، فأيها هو الصحيح؟ لا أحد يدري!

ومن المؤسف أن الرشوة قد تسللت إلى مهنة إنسانية عظيمة هي الطب؛ إذ تجد أن الطبيب يصف لك دواء معينًا تنتجه شركة معينة، ويحاول إقناعك بأن هذا الدواء أنجع من نظيره الذي تنتجه الشركة الفلانية! لماذا هذا الإصرار من قِبل بعض الأطباء على المرضى كي يشتروا دواء معينًا؟

الجواب يكمن في تمويل حضور مؤتمر لذلك الطبيب أو في جهاز حاسب تم تقديمه له هدية! والمريض المسكين يدفع المال، ويتناول دواء قد لا يكون هو الأفضل، ومع هذا وذاك يتشبع بقناعة خاطئة حول جودة الدواء الذي يتناوله!

وهكذا تمثل الدعاية بجبروتها وانتشارها مصدرًا للتضليل وإشاعة المفاهيم غير الصحيحة، ونحن نشعر بالعجز عن عمل أي شيء سوى هذه الأحرف والكلمات التي نسطرها هنا وهناك استرشادًا بالمثل العربي القديم « أشبعْتُهم سبًّا وأوْدَوْا بالإبل! ».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تآكل الاهتمامات

مضت سنة اللَّه - تعالى - في أن يجعل عباده في حال من التقلب المستمر بين أوضاع مختلفة، وفي كل وضعية من الوضعيات ابتلاءات جديدة، عليهم أن ينجحوا فيها، والنجاح يتطلب درجة حسنة من (يقظة الوعي) تجاه ما تحوّلنا عنه، وما صرنا إليه حتى نعرف ما سماه بعض المتقدمين بـ (واجب الوقت). وإن الذي يجعل قبول الناس بالارتحال من وضعية إلى وضعية شيئان:

١ ـ ضعف وعيهم بميزات وسلبيات الحالة التي هم فيها، مما يجعل تخلِّيهم عنها سهلًا.

٢ ـ الظروف والمعطيات والمنتجات الجديدة؛ فنحن نلاحظ أن السيارة والفضائية و (الإنترنت) ونشوء المدن الكبرى قد أدخلت على حياتنا اليومية وعلى علاقاتنا الاجتماعية الكثير الكثير من التغيرات، وقد جرت عادة الخيِّرين بالقيام بوعظ الناس وتنبيههم إلى مخاطر الوضعيات الجديدة التي وجدوا أنفسهم فيها، لكن تأثير ذلك دائمًا محدود؛ وذلك يعود إلى أنه حين يحدث صراع بين منتجات حضارية ملموسة وبين أفكار وقيم وذوقيات اعتبارية وذات وجود معنوي، فإن الغلبة تكون للمنتجات الحضارية. أنا هنا أود أن أبعث برسالة إلى قرائي الكرام حول أهمية الانتباه إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعض التحوّلات الكبرى التي طرأت، وتطرأ على حياتنا، والعمل على إيجاد صيغ جديدة للتعامل معها.

في إمكاننا أن نقول: إن للشيء وجودين؛ وجودًا في الواقع ووجودًا في النفوس والعقول، وحين يزول الشيء من نفوسنا واهتماماتنا فإنه يمضي نحو الزوال من الواقع، وهكذا فقد اندثرت في حياة كل الأمم آلات وعادات وأنواع كثيرة من الأطعمة والأشربة وطرز الملابس.... بسبب انصراف اهتمام الناس عنها، وحين نتساءل عن أسباب ذلك فسنجد أن لدينا مجموعة معقدة من الأسباب الموضوعية، كما أننا سنجد أن كثيرًا منها اختفى من غير أي معرفة بأسباب اختفائه؛ فالإنسان كائن مزاجي بامتياز.

لو عدنا أربعين سنة إلى الوراء لوجدنا أن صدور كتاب لكاتب لامع جدًّا - كأبي الحسن الندوي أو أبي الأعلى المودودي مثلًا - كان يُحدث هزة ثقافية كبيرة في أوساط الشباب المسلم، ومن الذي ينسى الحراك الثقافي الذي أحدثه كتاب مثل (قصة الإيمان) للشيخ نديم الجسر، وكتاب: (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) للشيخ الندوي، وكتاب (جاهلية القرن العشرين) للأستاذ محمد قطب..؟ إنني أعتقد أن جزءًا كبيرًا من تأثير تلك الكتب مدين لمناسبتها لاهتمامات الناس في تلك المرحلة، ومناسبتها لدرجة وعيهم وحاجاتهم الثقافية، ولو أن هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكتب صدرت قبل سنة لما لقيت عُشر ما لقيته من حفاوة وقت صدورها في القرن الماضي، ولو أننا عدنا خمسًا وعشرين سنة إلى الوراء لوجدنا أن الكتاب التراثي كان يستحوذ على اهتمام كثير من الناس، وكم رأيت من طلاب العلم من يقتني من الكتاب الواحد نسخًا عدة؛ فهذه نسخة حققها العالم الفلاني الدقيق جدًّا في عمله، وهذه نسخة ذات ورق مصقول وخالية من الأخطاء الإملائية، أما النسخة الثالثة فإنهم يقولون إن مخطوطتها التي اعتُمدت للنشر هي وحدها بخط المؤلف، أما اليوم فقد انحسر كل ذلك انحسارًا شديدًا، وبدأ الطلب يشتد على الكتب الإسلامية المعاصرة، وعلى كتب تنمية الشخصية، والتربية والإدارة، وكتب اللغة الإنجليزية، بالإضافة طبعًا إلى الروايات، ولو أننا عدنا خمس عشرة سنة إلى الوراء لوجدنا أن الإقبال على الشريط الإسلامي كان لافتًا للنظر، وقد بيع في بعض البلدان من بعض الأشرطة بضعة ملايين من النسخ، أما اليوم فإن مؤسسات إنتاج الشريط الإسلامي تعمل بالحد الأدنى من طاقتها، وكثير منها أغلق أبوابه، وبعضها تحوّل إلى إنتاج ونشر الأناشيد الإسلامية وقصائد الشعر الشعبي(!)

Telegram:@mbooks90

وماذلك إلا لأن الحسَّ العام للناس يتجه الآن نحو الاستمتاع والطرب، الشيء الأشد خطورة من هذا هو الإعراض عن الاهتمام بالعربية وتعليمها وتجويد نطقها وكتابتها، والإقبال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على اللغة الإنجليزية، كتابة وتحدّثًا في مجال التعليم وفي مجال العمل، وقد ذكرت إحدى هيئات الأمم المتحدة أن القرن العشرين شهد اندثار أكثر من ثلاثمائة لغة، وأن القرن الحادي والعشرين سيشهد اندثار كثير من اللغات، ومن بينها العربية، وهذا شيء يثير الفزع!

إن الأشياء التي تموت في اهتمامات الناس اليوم كثيرة، وهي تحتاج إلى رصد ومتابعة، وإلا فإننا سنجد أنفسنا بعد سنوات وقد خسرنا الكثير من قيمنا ومكاسبنا الحضارية دون أن نحرك أي ساكن.

وللَّه الأمر من قبل ومن بعد؛

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

* * *
* *
*

تم الرفع بواسطة:ميراي
Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكتاب في سطور

إن اللّـه - تعالى - فطر الإنسان على حب التساؤل والحرص على استكشاف ما يدور حوله، وذلك حتى يتمكن من تسخيره والاستفادة منه وتوقي شروره، لكن عقل الإنسان ليس مجهزًا لفهم ذلك على نحو قاطع، كما أن النظام اللغوي الذي يشكّل الأداة الرئيسية في عملية الفهم مصاب بالقصور الذاتي، وأشعر أن فهم الواقع اليوم أصعب مما كان عليه في الماضي، وذلك بسبب التعقيد الذي أوجده التقدم الحضاري، وبسبب التطور السريع الذي أحدثه التقدم التقني المذهل.

Telegram:@mbooks90

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية

هاتف: ٢٢٧٠٤٧٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٠٠٢٠٢)

الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٠٠٢٠٢)

www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner